أجوبة عن أسئلة...

نشرت رصيفتنا الغراء مجلة «المغرب الجديد» في عددها الثاني جملة من الاسئلة ورجت من قرائها الجواب عنها، وقد تفضل جناب العلامة الاستاذ محمد الحجوي بتحرير الاجوبة التالية التي ننشرها هنا افادة، أطال الله بقاءه وحفظه للعلم والصلاح.

س) هل السلالة المغربية جامدة، أم هي قابلة للنهضة والتطور، إنها كانت مستعدة للتطور فما هي وسائل تطورها، وإلى أية درجة يمكن ان تتجه أثناء هذا التطور؟

ج) هي قابلة للنهوض والتطور بدليل ماضيها، فأمة أنجبت مثل إدريس الثاني باني فاس، ويوسف بن تاشفين وعبد المومن بن علي الموحدي، والقاضي عياض اليحصبي، ودراس بن إسماعيل الفاسي، وابن محسود القاضي الهواري الفاسي، وابي عمران الفاسي، وابي الحسن الزرويلي، وابي الفضل الوليدي، وابن القطان الفاسي ثم المراكشي، وابن البناء المراكشي، وعبد العزيز العبدوسي، وابن سليمان الروداني، وابن الوزان الملقب اليون الافريقي الفاسي، وابن غازي، وابي عبد الله محمد بن المدني جنون ومن لا يحصى كثرة من الامراء الفاتحين والعلماء والادباء المؤلفين والصناع الفنانين، وصنائعهم لا تزال ماثلة في المساجد والمدارس وفي المتاحف من النفائس شاهدة بحسن الذوق مع الابتكار، لعجيب ان يسأل مثل هذا السؤال عنها احد ابنائها ـ أمة ملئت الخزائن بمؤلفاتها واعمالها وقادت أمماً عظيمة بسيوفها ومعارفها مع ما هو مشاهد الآن من التطور الحديث في حياتها وأفكارها، والعذر للسائل أنه رءا التطور الحديث بطيئا جداً ولم يتمحض اتجاهه، فهي متحركة في أخريات نومها، أما وسائل تطورها فتنحصر تقريباً في التربية والتعليم فإن هي أفاقت من سنتها وأحسنت طرق التربية الصحيحة والتعليم المفيد تطورت تطور الامم الحية ونالت قسطها من الحياة، وإن بقيت متكلة على غيرها أبطأت ما شاء الله وبقدر وسائل التربية والتعليم يكون التطور، أما اتجاهها فهو بحسب التربية والتعليم أيضاً وهكذا الامم كلها، فإن أسست التربية على أخلاق كاملة إسلامية حقة مجردة عن الاوهام والاضاليل وعن مفاسد المدنية الاروبية كان اتجاهها نحو الكمال، كذلك إن بني التعليم على الحقائق وأسس على ابتكار موارد الحياة من فلاحة وتجارة وصناعة اتجهت نحو حياة حقيقية شريفة، وإن بني على خيال الشعر ونغم الموسيقى والاناشيد وزعامة الاماني الفارغة والتسابق الى كل ما ينفع بشرط ان لا يكون فيه تعب ولا تضحية ولو كان النفع لعموم الامة وشقاشق الكلام الفصيح والخطب الرنانة التي لا تجر نفعاً ولا تنجي من خطب، كانت حياة خيالية كحياة غالب أمم الشرق تعيش بالاماني كما يعيش الكمون بوعود السقيا، وعلى كل حال المستقبل لله ثم للتربية والتعليم.

س) هل الشعب المغربي تسود فيه روح الفردية والانانية أم روح التعاون؟ إن كان شعباً تعاونياً فما هي مظاهر التعاون فيه؟ وإن كان شعباً فردياً فهل روح الفردية غريزية فيه أم هي نتيجة من نتائج التربية؟ إن كانت ناشئة عن التربية القديمة فهل يمكن تغييرها بتربية جديدة وما هي وسائل هذا التغيير؟

ج) الشعب المغربي المعاصر فردي انانى تكسرت فيه سلسلة رابطة التعاون بمعول حب الذات، وتفككت عراه بالشخصيات باستثناء اليهود لما ظهر فيهم من التعاون، اما سلفه فلم يكونوا كذلك بدليل تاريخه، وان شعباً يقطع البحر

ويغامر ليعين اخاه الاندلسي ويأخذ بيده عند سقطته ليس بفردي ولا انائي ، فالفردية ليست غريزية فيه بل من نتائج التربية التي أهملت فابعدت عن الشعب فهم القرآن العظيم الذي بنى الدين على الاخوة والحب والتعاون وما من شعيرة من شعائر الاسلام الا وتجد التعاون إما هو كل الحكمة المقصودة من التشريع كالزكاة واما هو بعض الحكمة وكذلك بقية الشرائع الاسلامية ، ويمكن تغيير الفردية بتربية جديدة بوسائل التعليم الحق كما سبق .

س) العقلية المغربية هل هي راقية أو منحطة ؟ ان كانت راقية فما مظاهر رقيها وان كانت منحطة فما هي عوامل انحطاطها أنقص في التكوين ام في التربية ؟

ج) الجواب يعلم من الجوابين قبله مقايسة أومقابسة.

س) هل يوجد ادب مغربي يصح ان يطلق عليه الاسم ؟ ان كان موجوداً فهل هو بالعربية او العامية او بهما وما هي مظاهره القديمة والحديثة والمعاصرة وان كان غير موجود فما هي اسباب عدم وجوده ؟

ج) الادب المغربي على مصطلح الادباء موجود قديماً وحديثاً بالعربية الفصحى العدنانية وباللهجة الدارجة التي هي عربية ايضاً خلاف ما يظهر من السؤال نعم ليست خالصة ، دليل ذلك مظاهره ، فأما القديمة فشعراؤه وكتابه المشهورون في التاريخ مع دواوينهم ، والتواليف التي الفوها في الادب لاتجهل فالقاضي ابو الفضل عياض شاعر كاتب عالم مؤلف من الدرجة العالية وهو فاسي الاصل سبتي الدار مراكشي الهجرة والقبر ومن شعرائنا مالك ابن المرحل السبتي ثم الفاسي والحصري القيرواني ثم الطنجي وابن الونان الفاسي وهذا اليوسي ابو علي صاحب زهر الاكم والديوان وغيرهما من التآليف المهمة في الادب وغيره ومن عاصره من الدلائيين وسيدي عمر الفاسي الفهري اديب الفقهاء وسيدي سليمان الحوات الفاسي اديب المؤرخين وابن القاضي كذلك وغيرهم ممن لايحصى كثرة وكتبهم في العلم والادب لم تزل ، منها ما طبع ومنها ما اهمل وإنما تاخرنا فوقع التاخر في كل شيء ، حتى خيم خيال العدم على ما تقدم أو تأخر من مجد وأدب وغالب الامم اذا نزل بها الهرم هرمت جميع مناحي فخرها وحياتها كالفرد اذا هرم هرمت جميع أعضائه فإذا دبت روح الحياة دبت في كل عضو .

ومن مظاهره العصرية اشتغال مجلة المغرب بنقد بعض شعرائنا المعاصرين فذلك النقد نفسه دليل ادب كثير وخير وفير إذ العدم لا ينتقد على ان ما تبحث عنه المجلة من ادب غير منتقد وشاعر لا ينتقد شيء من شعره وقصيدة تتفق الآراء على استحسان كل أشطار ابياتها بل كلماتها وحروفها وحصر المعاني في العموميات والوطنيات ، هو شيء بحثنا عنه فوجدناه لا ينبت إلا في جزيرة الانسان الكامل الذي لا يعيش إلا في الاقيانوس الخيالي في الفصل الخامس من فصول سنة ميشاق بريان كيلوغ عند ظهور نجم السلام بعد القيامة بألفي عام ، ولست ممن يزعم أنه كان يوجد في المغرب المثل الكامل من الادب قديماً او حديثاً بل أعترف انه مفقود الآن لفقدان أسبابه ، وانتم والقراء تعلمونها ، وتعلمون ما يطلق الالسنة وينطق الافئدة او يعقلها ولله في خلقه شئون .

هذا ولنا ادب باللغة العامية أيضاً ومظاهره واضحة في أمثال العامة المغاربة ، وحكمهم الجارية على الالسنة الى الآن ، الدالة على تفكير وغوص على المعاني الرقيقة وحسن الذوق ، وتذوق الفلسفة الاجتماعية ، والسياسات العالية ، بحيث لو جمعت أمثال العامة والحكم الجارية على ألسنة المغاربة بدواً وحضراً لكانت ادباً جماً وعلماً صحيحاً نافعاً ، وهذا مما ينبغي ان تشتغل به مجلتكم الادبية ،

وإياكم ان يقع لكم ما وقع لمن جمع بعض الامثال فسقط على أمثال ساقطة تجري على ألسنة الطبقة السفلى ممن لا خلاق لهم فصور لنا صورة شوهاء وترك الامثال العالية الجارية على ألسنة الطبقة العليا والوسطى والاغراض تحيل الاعراض وتبيح الاعراض.

وهكذا القصائد التي أنشئت بالملحون والازجال والتواشيح وغيرها محفوظة معلومة مدونة في الدواوين، فهذا الوزير محمد بن إدريس له ديوان ملحون كما له ديوان نظم من طبقة عالية وأدركنا من المتأخرين الحاج إدريس السناني وهو شاعر في المنظوم والملحون وله ديوانان أيضاً وغيرهما كالمسطاري شاعر مكناس وهناك من اختص بالملحون ولم يكن له باع في اللغة الفصحى كالمدغري وسيدي قدور العلمي ومن المعاصرين السعداني الفاسي وغيرهم ممن لا يحصى كثرة، على ان فكري الخاص لا يميل الى اعتبار الادب الملحون ولا أحب تنشيطه سداً لذريعة ضعف لغتنا الفصحى القرشية على قرب ما بينها وبين العامية، إذ تقوية العامية إضعاف للفصحى، فيجب علينا بذل كل مجهود حتى ترتقي العامية بالاصلاح تدريجياً الى ان تصير فصحى عن طريق التعليم والالقاء في المدارس، ولا نعطي العامية اكتراثاً يثبت بنيانها ويدعم أركانها حتى تبقى سداً دون رقي أفكار العامة الى فهم القرآن واسراره ومطالعة المجلات والجرائد التهذيبية المنيرة للفكر العمومي والتي بها يشعرون بدرجة حياتهم وامور دنياهم.

س) هل يوجد "تاريخ للمغرب أم لا؟ إن كان موجوداً فهل هو "تاريخ الحكومة المغربية أو "تاريخ الشعب المغربي؟ إن كان "تاريخاً للشعب فهل هو "تاريخ سياسي او علمي او جامع بينهما؟

ج) إن "تاريخ المغرب موجود على الاجمال ولكنه غير منظم بل هو شذرات في كتب وتقاييد على النسق القديم، فمنه ما هو "تاريخ للحكومة وهو أغلب التواريخ الاسلامية كتاريخ القرطاس، ومنه ما هو "تاريخ للشعب كالجذوة والصفوة ودرة الحجال في أغلب ما يوجد فيها، ومنه ما هو جامع بينهما كالاستقصا، على ان هذه الكتب لم تستوعب الناحية الاولى ولا الثانية ولا جاءت بما يصور الحالة السياسية ولا الاجتماعية والعلمية والاقتصادية تصويراً "تاماً بطريق برهاني مثل ما يوجد في التواريخ الحديثة التي ألفت بعد ظهور فلسفة الامام ابن خلدون وبعد تقريب المواصلات وتيسير المواد وتوفر الكتاب، وتجدد الرغبات وانتشار الجرائد والمجلات الناقلة للاخبار والمقربة للديار من الديار ووفرة المطالعين والقارئين المنشطين للمؤرخين ولكنها تفيد في الجملة ما تفيده تواريخ القرون الوسطى باروبا، وإني أعترف بأن اهل المغرب لم تكن لهم قدم في التاريخ ولا اعتناء به حتى ان "تاريخ ولاة الدولة الاموية والعباسية بالمغرب واعمالهم بالمغرب قد ضاع وان الدولة الادريسية لم يكن "تاريخها إلا شذرات أظنها متلقاة من افواه بعض القصاصين بعد الادارسة بكثير، وهكذا دولة برغواطة بتامسنا إنما تُلقيت من كاتب منهم أملاها في الاندلس بعد برهة من الزمن كما يوخذ من ابن خلدون، واكثر من ذلك في الابهام دول زناتة كبني مدرار ومكناسة ومغراوة وبني يفرن، والذي دُون في وقته غالباً تاريخ دوله العظمى الاسلامية، اللمتونية، الموحدية، المرينية، وذلك والله أعلم بسبب توفر الجالية الاندلسية التي لها اهتمام بالتاريخ في هذه الديار لما لها من الحضارة العريقة ورغماً عن ذلك كله توجد جملة صالحة من "تاريخه تقارب "تاريخ امثاله في تلك القرون من بلاد أخرى يمكن ان يستخرج منها "تاريخ مهم للبلاد.

س) هل يوجد في السلالة المغربية شخصيات تستحق الخلود أم لا ؟ إن كانت موجودة فما هي اعظم شخصية بينها؟

ج) إني أكره الكتابة بل والكلام في الشخصيات ولو بخير تحرياً لقول الحق وتنزهاً عن الوقوع في مس العواطف ـ وأرى ان اهل الجيل الحاضر كالمتفقين على عدم الاحتجاج بمفهوم اللقب إلا في هذا المقام ، فإذا رآك زيد مدحت عمراً انقبض لانه يسبق الى فهمه ان مفهومه ذم ما سواه ولا كنهم لا يعتبرون هذا المفهوم في الذم ، وهو فهم لا يستند الى برهان الا للشخصيات ، ومع رداءته صار غير قابل للجدل عند كثير ، كذلك تضيق صدورهم عن تحمل النقد فيريد كل واحد ان يكون او يوصف بالكمال كله ومع ذلك يقولون لا كمال إلا لله ، لذلك لا أجيبكم إلا عن شخصيات تاريخية فأقول : في المغرب شخصيات تستحق الخلود كثيرة ولا كني لا أرى ان هناك شخصية فوق الشخصيات من جميع النواحي فالكمال لله وحده ، فهناك شخصيات من الحيثية الحربية كالامام موسى بن نصير ومولاه طارق بن زياد البربري وناهيك به وبمولاه فاتحي الاندلس شجاعة وتدبيراً وسياسة وديناً وأخلاقا والمولى إدريس الاول معجزة التاريخ وصقر قريش الحقيقي الذي أتى فرداً مع عبده ووقف بباب عبد المجيد الاوربي خائفاً لاجئاً من وقعة وج لا عصبية ولا مال ولا تقدم له ولا لابيه خلافة يبني عليها وعلى ذخائرها وصنائعها ولا ولا ، فلم ينشب أن نزل له عن العرش وأصبح بين يديه خادما [1] ، ويوسف بن تاشفين الامام الخليفة الراشد الموفق الذى رفع المغرب الى صف الدول العظام وأنقذ الاندلس من الاضمحلال ، وفي نظري أنه أعظم شخصية تاريخية في المغرب من حيث السيف والسياسة والعدل والاستقامة وسلوك سنن عمر بن الخطاب ، مستحقة لخلود الذكر الجميل ، ويليه في السياسة والسيف عبد المومن بن علي الذي أنقذه من احتلال النورمان الذين دوخوا السواحل الافريقية واستعمروها بعد صقلية في شخصيات أخرى من هذه الناحية وهي كثيرة كيوسف ابن عبد المومن وولده يعقوب المنصور والمولى إدريس الثاني وتاشفين حفيد يوسف بن تاشفين من حيث أعماله في الاندلس وابن عائشة وابن فاطمة كذلك في الاندلس عملوا أعمالا في الانقاذ تعظم بها شخصياتهم ، ويعقوب المريني وابي سعيد وابي الحسن ناشر لواء العلم والصناعة والمدنية العربية الاندلسية في هذه الديار ويقاربهم كثير كأحمد المنصور السعدي والمولى الرشيد العلوي والمولى إسماعيل والمولى عبد الرحمن بن هشام والمولى الحسن قدس الله أرواحهم في دار السلام أما شخصيات العلم والادب فكثيرة أيضاً تقدم بعضها واعظم شخصية جمعت بين العلم والادب والسياسة والعدل عندي القاضي عياض اليحصبي فإن الرجل خدم العلم خدمة تذكر فتشكر بكل فخر وإعظام فكان بحراً في العلوم العربية والادب والشعر والكتابة والتفسير والحديث والفقه والفنون الاسلامية كلها يدل لذلك تواليفه التي لا زالت مطمح أنظار كبار العلماء في الاقطار الاسلامية من أدناها الى أقصاها شرقاً وغرباً وانتفع العالم الاسلامي وغير الاسلامي بها داخلا وخارجا فهو محترم بخارج المغرب قدر احترامه في داخله او اكثر وشخصيته عظيمة هناك وهنا كما انه كان قاضياً فسل سيف العدل وقام بالقسط لم تدنسه أعراض ولا أغراض الى غير ذلك من مناقبه الجمة رحمه الله فهو شاعر من الطبقة

(١) ويمكن ان ينازع منازع فيقول انه حجازي لا مغربي ويمكن ان نجيب بأن من هاجر الى بلد واستوطنها اربع سنين نسب اليها ، نعم قد يكون البحث وجيهاً في موسى بن نصير . مؤلف

العالية وكاتب ومؤلف وقاض ومحدث وفقيه كذلك في الجميع لا أظن احداً ينازعه في ذلك فهو من الشخصيات التي تستحق خلود الذكر الجميل .

س) ما اصل كلمة المخزن ؟ ومتى أطلق على الحكومة المغربية ؟ هل إطلاقها اجنبي او مغربي .

ج) لفظ مخزن عربي فصيح مفعل مفتوح العين اسم مكان قياسي من الخزن مصدر خزن يخزن بضم المضارع ، والاصل فيها ان العرب لما اختطوا القيروان واختطوا بها دار الوالي جعلوا بها مخزن المئون والذخائر والاموال التي تجبى من الرعية وتدفع للجيش والموظفين فصار اسم المخزن يطلق على دار الولاية التي هي مركز الحكومة كما اشار لهذا بعض مورخي القيروان ، ثم لما ادخل حسان بن النعمان نظام الشرق على المغرب الادنى والاوسط والاقصا ودون الدواوين ونظم بيت المال ورتب الجيش بقي اسم دار المخزن يطلق على دار الولاية وان لم يكن فيها خزن مجازاً علاقته الاطلاق والتقييد ثم صار علماً بالغلبة على محل الحكومة ونسبوا اليها من كان من جملة أفرادها فقالوا مخزني وبقي ذلك الاسم سائراً الى ان وصل المغرب الاوسط والاقصا فهو الان يطلق في الاقطار الثلاثة بالمعنى المتقارب أو المتحد على ما يطلق عليه الباب العالي عند الترك في الاستانة وكما يطلق لفظ الاعتاب الشريفة في المغرب الاقصا فهي مرادفة لها تقريبا ، واذا اطلق لفظ مخزن في المغرب الاقصا انصرف الى رجال الدولة من غير احتياج الى قرينة لانه حقيقة عرفية فيهم فهو اطلاق مغربي عربي افريقي .

محمد الحجوي

في العدد المقبل مقال في

شهيرات النساء بالمغرب

ردود

عش رجباً تر عجباً

رأيت في المنام ما أقصه عليك بايجاز : كنت جالساً بظل شجرة فأثقل جفني النعاس ، فرأيت في المنام اني انا النصراني مسافر مع صديق لي مسلم أديب في قفر بالبادية ، فما سرنا غير قليل حتى اعترض لنا في طريقنا ذئب معروف باعتدائه على الاغنام وفي بعض المرار على الانام ، فهاجمنا وعوى الى رفقائه الذئاب كأنه يبشرها بلسان حاله انه أصاب فريسة طيبة وغنيمة باردة ، فمن المطبع تعاضدنا كلانا واتفقنا على قتل عدونا فعاجلناه برصاصة ورصاصتين رميناه بهما من البندقية (المكحلة) فخر على الارض صريعاً ميتاً فحمدنا الله الرحيم حمد عبدين أمينين مؤمنين به سبحانه ، فأفقت من نومي ورأيتني لم أزل تحت الشجرة وعلى مقربة مني جماعة من العرب المسلمين الادباء المتعلمين يتحدثون عن احوال العالم الحاضرة من حلوها ومرها ومليحها وقبيحها وعن الاخيار والاشرار ، وقد حكموا كلهم حكما جازماً ان الدنيا اليوم مقسومة الى قسمين والى حزبين عظيمين لا ثالث لهما ، حزب آل اليمين وحزب اصحاب الشمال ، فالاولون هم المؤمنون الامناء الصادقون من مسلمين ونصارى ويهود والآخرون هم عبدة الاصنام بالشرق الاقصى وتباعهم من الملحدين والمارقين من الدين أهل الشيع الشنعاء والبدع العوجاء ، وقال اولئك المتحادثون ان عصرنا هذا هو عصر تحارب وتضارب وترافع وتدافع ، بلى حرب ضروس هي اشأم من حرب البسوس بين عبيد الله تعالى والعصاة الضالين المضلين كتلك الزمرة التي صيرت روسيا كجهنم الحمراء مسعرة نيران الكفران والظلم والعدوان في كل مكان وكصاحب ألمانيا اليوم المتكبر المتجبر الذي كان يدعي النبوة ويجعل نفسه نصف اله ، فكأن امير الشعراء بمصر رحمه الله عناه بقوله لما هجا غليوم الثاني صاحب الحرب الكبرى فمن القصيدة الحسناء أذكر بيتين

أكثرت من ذكر الالاه تورعاً ... وزعمت انك مرسل وأمين

وكذلك الجزار يذكر ربه ... والنصل في عنق الذبيح دفين

فبعد عودتي الى مكتبي في هذه العاصمة الرباطية المحروسة بالله